

## المحاضرة الرابعة عشر / المرحلة الثانية

مدخل الى علم البديع:

البديع لغة: الجديد المخترع لا على مثال سابق ولا احتذاءً متقدماً، تقول: بدع الشيء وأبدعه، فهو مبدع، وفي التنزيل: {قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ} ١.

وإصطلاحاً: علم تعرف به الوجوه والمزايا التي تكسب الكلام حسناً وقبولاً بعد رعاية المطابقة لمتقضى الحال التي يورد فيها ووضوح الدلالة على ما عرفت في العلمين السالفين ٢.

"واضعه" أول من دون قواعده ووضع أصوله عبد الله بن المعتز العباسي المتوفى سنة ٢٧٤هـ، فقد استقصى ما في الشعر من المحسنات وألف كتاباً ترجمه باسم "البديع" ذكر فيه سبعة عشر نوعاً وقال: "ما جمع قبلي فنون البديع أحد ولا سبقني إلى تأليفه مؤلف ومن رأى إضافة شيء من المحاسن إليه فله اختياره". ثم ألف معاصره جعفر بن قدامة كتاباً سماه "نقد قدامة" ذكر فيه ثلاثة عشر نوعاً زيادة على ما أملاه ابن المعتز.

ثم جاءت التأليف تترى، فألف فيه أبو هلال العسكري وجمع سبعة وثلاثين نوعاً، ثم ابن رشيق القيرواني فجمع مثلها في كتاب "العمدة" ثم جاء شرف الدين النيفاشي فبلغ بها السبعين. ثم ألف البديعيات فألف زكي الدين بن أبي الأصبع بديعيته، وأوصل الأنواع إلى التسعين، ثم جاء بعده صفي الدين الحلبي فأوصلها إلى مائة وأربعين، ونظم قصيدة ميمية في مديح النبي عليه السلام، وذكر اسم كل نوع في بيت.

ومن بعده جاء عز الدين الموصلي فذكر مثل ما ذكره سالفه، مع زيادة يسيرة من ابتكاره، وهكذا ارتفعت التأليف صعوداً وريدت الأنواع وكبرت البديعيات في هذا العلم كبديعة ابن حجة الحموي، وقد شرحها في كتاب سماه "خزانة الأدب" وبديعة عبد الغني النابلسي، وقد جاوز بها المائة والستين نوعاً.

أقسام المحسنات:

تنقسم المحسنات إلى قسمين:

١- محسنات معنوية، وهي التي يكون التحسين بها راجعاً إلى المعنى أولاً وبالذات، وإن كان بعضها قد يفيد تحسين ١ اللفظ أيضاً كالطباق بين يسر ويعلم في قوله تعالى: {يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} ٢، وعلامتها أنه لو غير اللفظ بما يرادفه فقليل مثله: يعلم ما يخفون وما يظهرون، لم يتغير المحسن المذكور.

٢- محسنات لفظية، وهي التي يكون التحسين بها راجعا إلى اللفظ أصالة وإن حسنت المعنى أحيانا تبعا كالجناس في قوله تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ} ٣، فالساعة الأولى يوم القيامة والساعة الثانية واحدة الساعات الزمنية، وعلامتها أنه لو غير اللفظ الثاني إلى ما يرادفه زال ذلك المحسن، فلو قيل: ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا إلا قليلا لضاع ذلك الحسن.